INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY

REVEALED KNOWLEDGE AND
HUMAN SCIENCES

MAKANAT AL-NAZAR AL-AQLI MIN AL-WAHY AL-ILAHI

BY
SOUALHI BACHIR

SUBMITTED IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE DEGREE OF
MASTER OF REVEALED KNOWLEDGE AND HERITAGE

APRIL 1995

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA
يونيورسيتي إسلام أنتارابغسا ملايسيا

الجامعة الإسلامية العالمية

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية

مكانة النظر العقلي من الوحي الإلهي

الطالب : صوالحي البشير
G912019
إشراف : د. عبد الله حسن زروق

أطروحة قدمت لنيل درجة الماجستير
في علوم الوحي والتراث
أبريل 1995م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنَّ في خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرضِ
واختلافِ اللَّيل والنَّهار والفُلكِ التي
تَجْرِي في البَحْرِ بما يَنْفَعُ النَّاس وما
أنْزل اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ من مَّاءٍ فَأَحْيَا
به الأَرْضَ بعدَ مَوتِها وبثَّ فيهَا من
كلّ دابّةٍ وتَصْريفِ الرِّياح والسّحاب
المسخَّر بين السّماء والأرضِ لآياتٍ
لقومٍ يعقلون﴾

(سورة البقرة ـ الآية 164)

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين..
أدام الله في عمرهما وعافاهما

وإخواني وأخواتي..
زادنا الله حبا وتقربا

وإلى زوجتي..
أسماء اعترافا وتقديرا

وإلى أبنائي..
فاطمة وأحمد شراطي
تحفيزا وتشجيعا

شكر وتقدير

لقد حظيت في تحضير هذه الرسالة بإشراف أستاذنا صاحب الفضيلة الدكتور: عبد الله حسن زروق السوداني، ولن أنس ما حييت اهتمامه البالغ وإعتناءه الكامل بالرسالة فداءً فداءً ، وما قدمه لي من توجيه علمي سديد .

كما أشكر رئيس قسم معارف الوحي والتراث الأستاذ الدكتور : عبد الخالق قاضي - الباكستاني - والذي لي شرف تلمذته بطلب مراجعة وامتحان هذه الرسالة ، كما أشكر إدارة مكتبة الجامعة وعمالها المخلصين الساهرين على خدمة طلاب العلم والمعرفة، كما أتقدم بالشكر إلى الأخوين نور الدين قاسي وعمر عيساوي الجزائريين اللذان أخرجا هذه الرسالة في هذا الثوب الجميل.

وأخيراً أشكر مدير الجامعة الأستاذ الدكتور : عبد الحميد أحمد أبو سليمان وفريقه الإداري الذي أتاح لنا جميعاً فرصة الدراسة في هذه الجامعة سخاءً وتكرماً ولسان حاله يقول : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً

المحتوى

العنوان — الصفحة

مقدمة..... 8

الباب التمهيدي : المفهوم الإسلامي للعقل والوحي 14

الفصل الأول : المفهوم الإسلامي للعقل 15

أولاً : ماهية العقل وحقيقة معناه..... 15

1 ـ مفهوم العقل في اللغة..... 15

2 ـ مفهوم العقل عند الفلاسفة والمتكلمين ... 17

3 ـ مفهوم العقل عند علماء المسلمين و المفسرين.. 20

ثانياً : أقسام العقل وخصائصه..... 20

الفصل الثاني : المفهوم الإسلامي للوحي..... 30

أولاً : مفهوم الوحي..... 30

1 ـ مفهوم الوحي في اللغة..... 30

2 ـ مفهوم الوحي في الإصطلاح..... 30

ثانياً : بيان أن السنة وحي وما هو بمنزلة الوحي 32

ثالثاً : خصائص الوحي..... 35

رابعاً : مفهوم الوحي بمعنى القرآن والسنة 37

1ـ مفهوم القرآن 37

2ـ مفهوم السنة..... 38

خامساً : طبيعة السند في الوحي..... 38

سادساً : إمكان الوحي عقلاً 40

الباب الأول : المفهوم الوظيفي واللفظي للعقل في نصوص الوحي..... 48

الفصل الأول : العقل في القرآن..... 49

أولاً : المفهوم الوظيفي للعقل في القرآن 49

1ـ آيات تدعو العقل إلى استعمال وظيفة التعقل..... 50

أ ـ العقل والطبيعة 50
بـ ـ العقل والحياة النباتية..... 51
جـ ـ العقل وأصل الإنسان ومراحل تطوره.. 52
د ـ العقل ومصير الإنسان..... 53
هـ ـ العقل وقضايا المجتمع والتاريخ..... 54
2 ـ آيات تدعو العقل إلى استعمال وظائف مرادفات التعقل....55
أ ـ آيات تدعو إلى النظر..... 55
بـ ـ آيات تدعو إلى التبصر..... 56
جـ ـ آيات تدعو إلى التدبر..... 56
د ـ آيات تدعو إلى التفكر..... 56
هـ ـ آيات تدعو إلى الاعتبار..... 58
و ـ آيات تدعو إلى التفقه..... 59
ز ـ آيات تدعو إلى التذكر..... 59
ثانياً : المفهوم اللفظي للعقل في القرآن..... 59
1ـ آيات تشير إلى مرادفات العقل في القرآن 59
أ ـ اللب 60
بـ ـ الحلم 61
جـ ـ النهى 63
د ـ الحجر..... 64
ثالثاً: آيات تشير إلى العلاقة الوظيفية واللفظية بين العقل والقلب.....64
1ـ مفهوم القلب في نصوص الوحي 64
2ـ القلب والمعرفة 67
3ـ الحواس والعقل..... 68
4ـ الحواس والقلب والعقل..... 68
الفصل الثاني : العقل في الحديث..... 71
أولاً : الأحاديث الصحيحة في العقل..... 71

1- العقل المتصل بالمسؤولية. 72
2- العقل المتصل بالأخلاق. 72
3- العقل المتصل بالإدراك والفهم. 72
ثانياً : أحاديث تعرضت للنقد. 74

الباب الثاني : حقيقة مصدرية العقل والوحي في المعارف. 84
الفصل الأول : العقل والوحي بين المصدر والوسيلة. 85
أولاً : المعارف التي يكون العقل مصدراً لها. 85
1- الأوليات العقلية وأثرها في الإدراك. 85
2- المعارف التي يكون العقل وسيلة لها. 87
ثانياً : مصدرية الوحي في تقرير الحقائق المطلقة. 88
الفصل الثاني : طبيعة العلاقة بين العقل والوحي. 91
أولاً : هل العقل سابق للوحي في الإستدلال ؟ 92
1- وجوب النظر العقلي. 92
2- فكرة " الدور " وآثارها المنهجية. 93
3- قضية الحسن والقبح بين العقل والوحي. 94
ثانياً : درء تعارض العقل والوحي. 101
ثالثاً : تكامل وتساند العقل والوحي. 103

الباب الثالث : دور العقل الإنساني في فهم الوحي. 110
الفصل الأول : قوانين العقل في فهم الوحي بين الإستدلال القرآني والإستدلال اليوناني. 111
أولاً : أدلة المنهج القرآني في الإستدلال العقلي. 111
1- قياس الأولى. 112
2- الإستدلال بالتشبيه والأمثال. 113
3- الإستدلال بالتماثل والإختلاف. 113
4- الإستدلال بالمقابلة. 114

٤ـ الإستدلال بالقصص القرآني..... 114
ثانياً :حقيقة العلاقة بين الإستدلال القرآني والإستدلال اليوناني.....115
الفصل الثاني : حدود الإدراك العقلي في القضايا العقديةوالتشريعية. 118
أولاً : حدود الإدراك العقلي في القضايا العقدية..... 118
1ـ دور النظر العقلي في تأكيد وجود الغيبيات..... 120
2ـ دور النظر العقلي في تأكيد وجود الله..... 121
3ـ دور النظر العقلي في تأكيد وحدانية الله..... 122
4ـ دور النظر العقلي في إثبات النبوة والرسالة..... 123
٥ـ دور النظر العقلي في تأكيد رسالة محمد
ـ صلى الله عليه وسلم ـ..... 125
ثانياً : منهج عمل العقل في ميدان الشريعة..... 126
1ـ العقل في هذا الميدان عند أصحاب المذهب العقلي. 126
2ـ حدود العقل في ميدان التشريع..... 127
أ ـ الإجتهاد العقلي..... 130
(1) ـ استخراج الحكم الشرعي من النصوص...131
(2) ـ تقدير المقاصد الشرعية..... 131
(3) ـ تنزيل الأحكام الشرعية على وقائع الحياة...134
بـ ـ الثوابت والمتغيرات في أفهام العقل..... 134
(1)ـ الأفهام الثابتة..... 135
(2)ـ الأفهام القابلة للتغيير..... 135
(3)ـ دعوى التغيير فيما هو ثابت والرد عليها 136
الخاتمة..... 144
فهرس المصادر والمراجع 148

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وقد وسع - سبحانه - كل شيء علماً

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله آتاه الله العلم والحكمة وعلمه مما يشاء - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

إشكالية التوفيق بين العقل والوحي ، قضية جذبت انتباه كثير من العلماء في القديم وعادت تشغل الفكر الإسلامي اليوم تحديداً ، فقد أشكل هذا الموضوع على بعض العلماء خاصة حينما تناوله كل فريق من زاوية معينة وفق اختلاف مناهجهم رغم جهود كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين في استخلاص نتائج حسنة لهذا الموضوع

وتأتي أهمية هذا البحث في تناوله لأغلب جوانب الموضوع وتأكيده على المكانة المعتبرة التي أعطاها الوحي للنظر العقلي باعتبار العقل وسيلة بشرية أساسية للإدراك والتمييز والحكم في مقابل مصدر معرفي معصوم وهو الوحي الإلهي

كما يؤكد البحث على أن التعارض بين العقل والوحي إشكالية غير حقيقية في الفكر الإسلامي وأن حقيقة العلاقة بينهما هي علاقة توافق وتكامل

و لقد احتدم الجدل في القديم والحديث فيما يختص كل منهما من مجال في إدراك الحق وفيما إذا كان بينما التداخل والتكامل الذي يؤدي إلى التوافق والتساند ، أو التباين والتدابر الذي يؤدي إلى التمانع والتلاغي . كما استشكل على البعض أسبقية العقل على الوحي في الإستدلال أو إمكانية الإستغناء عن العقل والإعتماد على الوحي وحده ، وتساءل البعض عن حقيقة مصدرية العقل والوحي في تقرير الحقائق وإنتاج المعارف .

كما تساءل البعض عن إمكانية معرفة العقل لقضايا الغيبيات والإلهيات وحقائق التاريخ الغابر ، ومدى حدود العقل في فهم حقائق الوجود وإدراك الأصول العقدية الكبرى ، والأصول الكبرى للقيم من حسن الفضائل وقبح الرذائل ، وقدرته على الإستقلال بالتشريع ، وحدود اجتهاده في فهم الوحي واستنباط الأحكام واجتهاده في تقدير المقاصد الشرعية ثم تطبيق كل ذلك على وقائع الحياة البشرية .

فقد حكّم فريق العقل وافتتن به فأعطاه صلاحيات واسعة في الحكم على الأشياء قبل الوحي ، وأوجبوا على العقل مسؤولية معرفة الله تعالى بجميع أسمائه وصفاته قبل ورود الشرع ، وتطرق البعض إلى قضية الحسن والقبح ، وكونهما عقليين أم شرعيين، أو عقليين ذاتيين في الأشياء وقد لا نعلمهما والشرع كاشف أو غير ذلك من الأقوال .

وتسربت " فكرة الدور " إلى المدارس الكلامية المختلفة وهي فكرة تقوم على أن العقل أصل للشرع ومن ثم فلا يجوز الإستدلال بدليل سمعي على أية مسألة من المسائل الكلامية المتعلقة بوجود الله تعالى وصفاته، وكل ما يتوقف عليه صحة الدين والنبوة ، إلا بالعقل وإلا صار الأصل فرعاً والفرع أصلاً وذلك دور باطل .

وربما أكثر من بالغ منهم في الإعتماد على الدليل العقلي و تقليل الإهتمام بالدليل النقلي أو تحديد مجاله في المباحث الكلامية هم أكثر المعتزلة والمتأخرين من الأشاعرة

وقد أثر منهجهم هذا إلى حد ما في أغلب المدارس الكلامية وبيئتها الفكرية ، خاصة المدرسة الأشعرية ، التي هيمنت على المسرح الكلامي بعد غياب المعتزلة من خلال الشهرستاني وكذا الرازي ، وبعض الحنابلة وأكثر الماتريدية والإثنا عشرية

ومن جهة أخرى ضيّق البعض وظيفة العقل فوقعوا في الخلط بين ما يستوجب فيه التقليد والتوقيف وما يستوجب فيه الإجتهاد والتفكر والنظر المقاصدي لفهم المراد الإلهي في نصوص الوحي وأحكام الشريعة.

وأبرز رواد هذا الإتجاه هم أدعياء السلفية ، فقد يظن بهم البعد عن استخدام العقل في مسائل العقيدة ، والحق أنهم يعتمدون عليه أحياناً ، وإن كانت وظيفته عندهم قد تختلف عنها عند غيرهم من المتكلمين ، واعترافات بعض أئمتهم للعقل دليل على ما نقول.

ومن جهة ثالثة هناك من يعتمدون على المنقول فقط ويهملون المعقول جملة ويأخذون بظاهر النصوص ويمتنعون عن التأويل والإستقراء والإستنباط ويؤمنون بأمور تخالف صريح المعقول ، كقولهم " الله قادر أن يجعل الإنسان الواحد في الوقت الواحد في مكانين مختلفين" ويمثل هذا الإتجاه طوائف من المسلمين كالحشوية والنصوصيين

ولكن اتجاهاً آخر يمثله فلاسفة ومتكلمون ومتصوفة لاحقون وفقهاء ومفسرون حاولوا في كتاباتهم التوفيق بين المنقول والمعقول بعد أن لاحظوا خطورة انحراف هذه القضية في ساحة الفكر الإسلامي ، وتفردوا بتوضيح المنهج الإسلامي الصحيح لهذه الموازنة التي جعلت " الوحي " يخاطب " العقل " ويرتاد له المواطن التي لا يحسن ارتيادها ولا يمتلك أدواتها من عالم الغيب الفسيح ، وجعلت العقل يعقل الوحي ويتفهمه ويستدل له ويرتاد له أفضل سبل التطبيق والتنزيل على الواقع فلا أحد منهما يمكن أن يكون بديلاً للآخر ، فكل منهما من عند الله تعالى ، فالوحي هبة الله تعالى للبشرية ليهديها سبلها ويخرجها من الظلمات إلى النور ، والعقل هو الطاقة المستقبلة للوحي القادرة على تلقيه وفهمه أو إدراك حقائق العالم ، خاصة وأن الوحي جاء في إطار مفهومية العقل ومتطابقاً مع مبادئه الفطرية، لأن الذي أنزله هو الذي خلق الإنسان وحتى يستفيد الإنسان فقد أنزله منسجماً مع فطرته

ومن أبرز روّاد هذا الإتجاه ابن تيمية والغزالي والمحاسبي والشاطبي وأبو يعلى وكثير من المفكرين المعاصرين اليوم

هذا وقد كسونا الموضوع طابعاً من الجدة في تصنيف أبحاثه وفي عقد فصول مستحدثة

فيه

وقد قسمت هذا البحث إلى باب تمهيدي وثلاثة أبواب ينقسم كل باب إلى فصلين ثم خاتمة البحث

ففي الباب التمهيدي : تناولت فيه تحديد المفهوم الإسلامي للعقل والوحي وخصائص كل منهما ، وذلك في فصلين

ففي الفصل الأول بينت مفهوم العقل في اللغة وعند الفلاسفة والمتكلمين وعلماء المسلمين والمفسرين ، ثم ذكرت أقسام العقل وخصائصه وقارنت ذلك بين أقوال الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة

وفي الفصل الثاني : تناولت مفهوم الوحي في اللغة والإصطلاح ، وبينت أن السنة وحي أيضاً ثم شرحت مفهوم القرآن والسنة باعتبارهما يمثلان الوحي وتناولت خصائص الوحي المميزة له عن مصادر المعرفة الأخرى ، ثم ذكرت طبيعة السند في الوحي ووضحت عصمت القرآن من التحريف وبينت المنهج العلمي الصارم في فحص الأحاديث المنسوبة للرسول - صلى الله عليه وسلم - لاستخلاص الصحيح منها

وختمت هذا التمهيد بالحديث عن إمكان الوحي عقلاً

وأما الباب الأول : فقد تناولت فيه المفهوم الوظيفي والنفسي للعقل في نصوص الوحي وذلك في فصلين

الأول : تحدثت فيه عن المفهوم الوظيفي للعقل في القرآن ، وبينت أن القرآن يدعو العقل إلى استعمال وظيفة التعقل لإدراك الطبيعة والنبات والكون وأصل الإنسان ومراحل تطوره ومصيره والإعتبار من التاريخ والمجتمعات . كما يدعو القرآن العقل إلى استعمال مرادفات التعقل وهي النظر والتبصر والتدبر والتفكر والإعتبار والتفقه والتذكر

ثم ذكرت مرادفات العقل الواردة في القرآن وهي اللب ، الحلم ، النهى ، الحجر ، القلب ، ثم تحدثت عن العلاقة الوظيفية والنفسية بين العقل والقلب ودورهما المعرفي مع الحواس

أما الفصل الثاني : فتحدثت عن العقل في الحديث ، وذكرت الأحاديث الصحيحة في العقل وصنفت هذه الأحاديث إلى ما يصل العقل بالمسؤولية والأخلاق والإدراك والفهم ، ثم درست الأحاديث التي تعرضت لنقد

في الباب الثاني : تحدثت عن حقيقة مصدرية العقل والوحي في المعارف ، وذلك في فصلين

ففي الفصل الأول : تكلمت عن العقل والوحي بين المصدر والوسيلة وبينت المعارف التي يكون العقل إما مصدراً أو وسيلة لها

وتحدثت عن مصدرية الوحي في تقرير الحقائق المطلقة

وفي الفصل الثاني : تناولت طبيعة العلاقة بين العقل والوحي وبينت أنها علاقة تكامل وتساند وعرضت بالتفصيل إلى اختلاف المدارس الفلسفية والكلامية في قضية الحسن والقبح ، ثم أعطيت رأياً في المسألة يضع كلاً من العقل والوحي في موضعه الصحيح

وفي الباب الرابع : تناولت دور العقل الإنساني في فهم الوحي وذلك في فصلين

ففي الأول ذكرت قوانين العقل في فهم الوحي بين الإستدلال القرآني واليوناني، وذكرت جملة من الإستدلالات القرآنية العقلية في ذلك ، منها قياس الأولى والإختلاف والمقابلة والقصص القرآني ، ثم بينت حقيقة العلاقة بين الإستدلال القرآني واليوناني

أما الفصل الثاني : فتكلمت عن حدود الدور العقلي في القضايا العقدية والتشريعية ، وبينت أن العقل مكلف بتأكيد وجود الغيبيات ووجود الله وتأكيد وحدانيته وإثبات النبوة والرسالة وتأكيد رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم تناولت منهج عمل العقل في ميدان الشريعة ، فعرضت المذهب العقلي واعترافهم بقصور العقل في هذا الميدان

ثم ذكرت حدود الإجتهاد العقلي وبينت دوره في استخراج الحكم الشرعي من النصوص وتقدير المقاصد الشرعية ، ثم الإجتهاد في تنزيل ذلك على وقائع الحياة

ثم تعرضت للثوابت والمتغيرات في أفهام العقل ورددت دعوى التغير فيما هو ثابت

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث

وقد اقتضت طبيعة الموضوع ووجهتي في تناوله استخدام المنهج التأريخي والتحليلي المقارن بين مقولات الفكر الإسلامي وأصح أقوال العلماء مع الرجوع بالأدلة والآراء العلمية إلى مصادرها الأصلية ، مع استخلاص الموقف الحقيقي الذي وقفه الوحي من هذه القضية

ولقد كانت المعايير الواردة في هذا الموضوع هي معايير الكتاب والسنة وما يلزم من النظر العقلي الصحيح.

ولعلني بهذا أكون قد دخلت الموضوع من بابه الصحيح آملاً أن يتضح ذلك من خلال البحث.

وأدعو الله تعالى أن أكون قد وفقت في ذلك.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

الباب التمهيدي

المفهوم الإسلامي للعقل والوحي

الفصل الأول : المفهوم الإسلامي للعقل

الفصل الثاني : المفهوم الإسلامي للوحي

الفصل الأول : المفهوم الإسلامي للعقل

أولاً : ماهية العقل وحقيقة معناه.

1 ـ مفهوم العقل فى اللغة .

جاء في لسان العرب

العقل هو مصدر عقل يعقل عقلا

والعقل : ضد الحمق ، والجمع عقول

والعقل ، التثبت في الأمور

وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من التورط في المهالك أي يحبسه ، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام

وقيل : العقل هو التمييز الذي به يتميّز الإنسان عن سائر الحيوان .[1]

وفي القاموس المحيط

العقل : هو العلم بصفات الأشياء حسنها وقبحها ، وكمالها ونقصانها ، أو العلم خير الخيرين وشرّ الشرين .[2]

ويعرّفه الفيّومي في المصباح المنير بقوله

العقل : هو مصدر على الحجا واللّب هذا قال بعض الناس : العقل غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب .[3]

وجاء في كتاب العين

العقل : نقيض الجهل .[4]

كما يعرفه بعض المتأخرين في اللغة بالمنع ، ولذا سميت القوة الذهنية التي تمنع الإنسان من القبائح عقلا ، وسمي المنع من الحركة والتحول اعتقالا ، وسمي المكان الحصين معقلاً.[5]

والعقل عقال أي مانع من الوقوع في المحظور والخرق المنكرات ، ويكاد يكون هذا المفهوم وارد في كل لغات العالم فإن كلمة (MIND) وكل مشتقاتها تعني الإحتراس والسلامة والتنبيه[6] والإعتناء والتفكر والإهتداء ، والفهم ، والمنع .[7]

أما مشتقات إسم المصدر " عقل " فتحمل نفس الدلالات اللغوية مع المصدر بمختلف حالاتها الإعرابية

فرجل عاقل : هو الجامع لأمره ورأيه

وقيل العاقل : الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها

ويقال : لفلان قلبٌ عقول : أي فَهِمٌ ، وعقل الشيء فهمه فهمًا [8]وعقلت الشيء عقلا: إذا تدبرته . [9]

والمعقول ما تعقله في فؤادك ، ويقال : هو مايفهم بالعقل كما تقول عدمت معقولا : أي مايفهم منك عقلا

ويقال ماله معقول أي عقل .[10]

وعاقله فعقله : كان أعقل منه

ويقال : أعقلت فلانا أي ألفيته عاقلا ، وعقّلته أي صيّرته عاقلا ، وتعقّل : تكلّف العقل كما يقال : تحلّم وتكيّس

وتعاقل : أظهر أنه عاقل فهمٌ وليس بذاك . [11]

والتعقل : هو إدراك الشيء مجردا عن العوارض الغريبة والنواحق المادية .[12]

وكلمة " عقل " لها مترادفات كثيرة تذكرها معاجم اللغة العربية فمنها

الحجر : بالكسر : العقل واللب لإمساكه ومنعه وإحاطاته بالتمييز

قال الفرّاء والعرب تقول : إنه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كأنه أخذ من قولهم حجرت على الرجل ، وعلى هذا سمي العقل حجرا لأنه يمنع من القبيح.[13]

النهى: هي العقل ، يكون واحدا وجمعا ، والنهية : العقل بالضم ، سميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح ، وفلان ذو نهية أي ذو عقل ينتهي به عن القبائح .[14]

الحلم: الحلم بالكسر : الأناة والعقل ، وجمعه أحلام وحلوم ، والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة وتثبت في الأمور . [15]

اللّب : لب كل شيء ، ولبابه : خالصه وخياره ، وخالص كل شيء لبه ، ولب كل شيء نفسه وحقيقته

واللّب هو العقل الخالص من الشوائب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، وقيل هو ما زكى من العقل ، فكل لب عقل وليس كل عقل لبًا . [16]

القلب : قد يعبر بالقلب عن العقل : قال الفرّاء : وجائز في العربية ان تقول.مالك قلب، وما قلبك معك ، تقول :ماعقلك معك ، وأين ذهب قلبك ؟ أي أين ذهب عقلك؟[17]

ومن هذه المعاني اللغوية السابقة نرى معاجم اللغة العربية جاءت لتوجه معنى العقل وجه الإدراك الذي يؤدي إلى النجاة ويعصم من الهلكة ، كما لم تقتصر هذه المعاجم على الدلالات اللغوية [18] فقد أشارت إلى الدلالات المعنوية والوظيفية للعقل ، فشملت هذه المعاني جانبين : جانب نظري عام وهو الفهم والعلم ، وجانب نظري خاص وهو إدراك الأمور المجردة عن المادة ، وجانب عملي نظري سلوكي وهو التمييز بين الخير والشر ومعنى يدل على حبس النفس عن الهوى والتثبت في الأمور التي يقود إلى الصواب في العمل

2.مفهوم العقل عند الفلاسفة والمتكلمين

أ ـ العقل عند المتكلمين.

1 ـ عند المعتزلة:

عرّف أبو الهذيل العلاف (ت226 هـ) العقل فقال : "منه علم الإضطرار الذي يفرّق الإنسان به بين نفسه وحمار ،وبين السماء والأرض ،وما أشبه ذلك ، ومنه القوة على اكتساب العلم ".[19]

ويظهر أن أبا الهذيل حدّد علاقة العقل بالإدراك ووصفه بأنه قوة تدرك بها العلوم

ومنع **أبو علي الجباني** (ت303 هـ) أن تكون القوة على اكتساب العلم عقلاً،[20]ودليله في ذلك "عدم تكليف الإنسان قبل تكامل عقله ".[21] "كما أن الإنسان يكون مع تكامل عقله قوياً على اكتساب العلم بالله .[22]

ويستند رده لقول أبي الهذيل إلى الأساس اللغوي فيقال ـ عقل عقلا ـ وبذلك يكون العقل " فعلاً " لا قوة .[23]

"والعقل عنده هو العلم" ، وإنما سمي عقلا لأن الإنسان يمنع نفسه به عما لا يمنع المجنون نفسه عنه".[24] وقد وافقه هذا الرأي فيما بعد تلميذه **القاضي عبد الجبار** ت(415هـ) بقوله:"إعلم أن العقل هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة متى حصلت في المكلّف صح منه النظر والإستدلال والقيام بأداء ما كلّف ".[25]

ولايمكن إعتبار العقل جملة من العلوم فحسب ، وإنما الأصح أنه جملة من القدرات المخصوصة لأن العلوم فطرية وكسبية ولايمكن إستعمالها في كل العقول واشتراطها كي تستوفي عملية التعقل

ويضيف **القاضي عبد الجبار** " إن الغرض بالعقل ليس هو نفسه وإنما يراد أن يتوصل به إلى اكتساب العلوم ، والقيام بما كلف من الأفعال ، فلا بد أن يحصل للعاقل من العلوم مايصح معها أن يكتسب ما يلزمه من المعارف ويؤدي ماوجب عليه من الأفعال ".[26]

ويصف **القاضي عبد الجبار** العاقل بقوله :" هو من لايجد لنفسه حالة سوى كونه عالماً بهذه المعلومات المخصوصة ، والذي تفارق طريقة تصرفه طريقة المجنون".[27]

أما **أبو عثمان الجاحظ** فإلى جانب إثباته قدرة العقل على الفهم وتمييز الإنسان مايضره يضيف للعقل قدرة النقد فيقول :" فلا تذهب إلى ما تريك العين وإذهب إلى ما يرك العقل،وللأمور حكمان ، ظاهر الحواس وحكم باطن للعقول والعقل هو الحجة ".[28]

فالحواس تدرك الأشياء وتحكم عليها و العقل يستخدم مقدماته المنطقية في التحليل والإستنتاج والحكم

ولا شك هنا في إعتبار حجية حكم العقل على الحس

ويبدو أن بداية هذا النص تهميش لدور الحس ، فهنالك علم لا يقتنى إلا بواسطة الحس

2 ـ عند الأشاعرة.

قال **أبو الحسن الأشعري** ، " العقل هو العلم "[29]

واحتج بأنه ليس غير العلم ، وإلاّ جاز تصور انفكاكهما ، وهو محال إذ يمتنع عاقل لا علم له أصلا ، أو عالم لا عقل له.[30]

وقال **القاضي ابو بكر الباقلاني** (ت 403) : العقل علوم ضرورية بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات .[31]

ويقول **أبو المعالي الجويني** (ت 478) في كتاب الإرشاد : " العقل ضرب من العلوم الضرورية ، وليس العقل جملة العلوم الضرورية ، فإن الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه ، فاستبان بذلك أن العقل بعض من العلوم الضرورية ، وليس كلها .[32]

لكن قد يستدرك على الجويني انتفاء العلوم الضرورية عن الضرير إذ أن الضرير يدرك بالعقل بعض العلوم الضرورية ونعني بالعلوم الضرورية العلوم العقلية المجردة كقاعدة النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان معاً

ويتفق الجويني مع الباقلاني في اعتبار العقل " علوم ضرورية بتجويز الجائزات واستحالة المستحيلات ، كالعلم باستحالة اجتماع المتضادات ، والعلم بأن الموجود لا يخلوا عن النفي أو الإثبات ، والعلم بأن الموجود لا يخلو عن الحدوث أو القدم .[33]

وبذلك يتضح أن الباقلاني ومن بعده الجويني يركزان على قدرة العقل على التمييز بين الأشياء والحكم عليها ويختلفان في التمثيل على هذه القدرة اعتباراً لإكتساب العلوم والذي يبدو أن الجويني يعتبرها عقلية بحتة وليست حسية استناداً لاستثنائه للضرير وانتفاء العلوم الضرورية عنه

و لنتساؤل الذي يطرح نفسه هنا ، هو هل يبدأ بها هذه العلوم الضرورية أم أنها مرحلة من مراحل المعرفة ؟ ذلك ما لم نجد له توضيحا في كتابات المتكلمين والفلاسفة واعتقد أنهم يقصدون بهما مرحلة من مراحل المعرفة والتعلم ضرورية للحكم على الإنسان بالعقل

ب - مفهوم العقل عند الفلاسفة:

لقد انكر أبو بكر بن العربي الفيلسوف تسميات العقل فيقول " إنها أسماء لا فائدة تحتها، وتهويلات لا طائل وراءها ، وذلك أن الأشياء والمدركات تسمى في نفسه علما لا عقلا حيث قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ .[34]

كما أطلق عليها عقلا فقال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾.[35] وبهذا الاعتبار فالعقل عنده هو العلم .[36]

ويرى **الفارابي** (ت 339) أن الشيء الذي به صار الإنسان إنسانا هو العقل ، فاسم العقل ـ كما يقول ـ يقع على إدراك الإنسان الشيء بذهنه ، وقد يقع على الشيء الذي يكون به إدراك الإنسان

كما سمي العقل بالنطق الذي به يكون إدراك الإنسان والإنسان قد يصدق عليه إنّه ناطق أي عاقل ، أي من طريق أنه يعبّر ، وأنّ له الشيء الذي به يدرك

والإنسان الناطق هو من له الشيء الذي به يدرك ما يقصد تعّرفه

ثم يصل إلى نتيجة مهمة قائلا : وكما كانت هذه الصناعة تفيد النطق سّميت صناعة المنطق

والذي به يدرك الإنسان مطلوبه ، وصناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يعقل ، والقدرة على اقتناء الصواب فيما يعقل .[37]

ويعرف ابن سينا حد العقل في الرسالة الرابعة " الحدود " ضمن تسع رسائل له في الحكمة والطبيعيات بقوله

العقل إسم مشترك لمعان عدة :

فيقال عقل لصحة الفطرة الأولى في الإنسان ، فيكون حدّه أنه قوّة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة ويقال عقل لما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية ، فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض ويقال عقل لمعنى آخر وحدّه أنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وكلامه واختياره

فهذه المعاني الثلاثة هي التي يطلق عليها الجمهور إسم العقل [38]

ويبدو أن ابن سينا يقصد بصحة الفطرة الأولى سلامتها من الجنون الذي يمنع من التمييز لكن قد يكون الإنسان عاقلا كالصبي ولا يملك قوة كاملة للتمييز والإدراك

3 ـ مفهوم العقل عند علماء المسلمين والمفسرين :

1 ـ عند علماء المسلمين

لقد عرّف العلماء قديما العقل بتعريفات متعددة

فيرى الحارث بن أسد المحاسبي أن العقل بالتسمية ثلاثة معاني

أحدها: أنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية ، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء

فهو غريزة وضعها الله سبحانه في أكثر خلقه ، لم يطّلع عليها العباد بعضهم من بعض ، ولا يعرف إلا بفعاله في القلب والجوارح فمن عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنياه عرف أن الله تعالى قد منّ عليه بالعقل الذي سلبه أهل الجنون

فالعقل غريزة ، جعلها الله عز وجل في الممتحنين من عباده ، أقام به على البالغين للحلم الحجّة ، وأنه خاطبهم من جهة عقولهم ، ووعد وتوعّد ، وأمر ونهى ،وحضّ وندب

والثاني : هو الفهم لإصابة المعنى ، وهو البيان لكل ماسمع من أمور الدنيا والدين

والثالث : هو البصيرة والمعرفة بتعظيم قدر الأشياء النافعة والضارة في الدنيا والآخرة ، ومنه العقل عن الله تعالى : فمن ذلك أن تعظم معرفته وتصير منه إلى تعظيم قدره ونعمه وإحسانه ، وتعظيم قدر ثوابه وعقابه ، لتنال بها النجاة من العقاب والظفر بالثواب . [39]

ويبدو أن العقل بمعنى الفهم يتداخل مع معنى البصيرة ، فإن العقل عن الله تعالى وتعظيم معرفته تكون بالفهم والبيان كما تكون بالبصيرة ، وعملية التبصر هي عملية فكرية أساسها الفهم والإدراك ، وقد تدل البصيرة على أنها قوة تقود إلى عمق في الفهم والإدراك

والمحاسبي عتبر أن الله احتج على عباده بما ركب فيهم من عقولهم وفي هذا يعتبر أن الله دفع الظلم عن ذاته بإيجاد العقل لقوله تعالى : ﴿ وما الله بظلاّم للعبيد﴾[40]وفي ذلك تنبيه إلى إرادة الإنسان في الإختيار بين الهدى والضلال والتي لا يمكن أن تعطى هذه الإرادة إلا لعاقل

أما أبو **حامد الغزالي** (ت 501 هـ) فيقسم إسم العقل على أربعة معان

ففي المعنى الأول : يتفق الغزالي مع المحاسبي في اعتبار العقل غريزة فيقول : (العقل هو الغريزة التي يفارق الإنسان بها سائر البهائم وهي التي استعدّ بها لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية

وفي المعنى الثاني :يتفق الغزالي مع بعض المتكلمين في اعتبار العقل بعض العلوم الضرورية فيقول : (هي العلوم التي تخرج من الوجود في ذات الطفل المميّز ، فجواز

الجائزات واستحالة المستحيلات ، كالعلم بأن الإثنين أكثر من الواحد ، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد) ثم يؤكد الغزالي ضرورة اعتبار العقل غريزة بالإضافة إلى أنه جملة علوم ضرورية فيقول : وإنما الفاسد أن ننكر تلك الغريزة ، ويقال لا موجود إلا هذه العلوم

أما المعنى الثالث : فيقرر الغزالي أن العقل علوم ناتجة عن التجربة فيقول : (هي علوم تستفاد من التجارب فإن من حنكته التجارب ، يقال أنه عاقل في العادة

وفي المعنى الرابع يحدد الغزالي أهم مايمكن أن يوصف به العقل وهو إدراك عواقب الأمور فيقول :(هو أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ، ويقهرها ، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث أن أقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب ، لا بحكم الشهوة العاجلة).[41] ويلاحظ غياب مفهوم النظر والتفكر لمعنى العقل عند **المحاسبي والغزالي** رغم قرب المعنى القرآني للعقل بمفهوم النظر والتفكر كما سيأتي بيانه ، إلا أن الغزالي نبه إلى مفهوم العقل بالنظر والتفكر في كتبه المصنفة لأخرى

2 ـ مفهوم العقل عند المفسرين:

فإذا انتقلنا إلى كبار المفسرين للقرآن الكريم فإننا نأتي على بعض أقوالهم في العقل وأهمها

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (101هـ) شيخ المفسرين يستخدم نفس التعبير الذي استخدمه المحاسبي في العقل عن الله والفهم عن الله وذلك يبدو في تفسيره آية : ﴿ إن في خلق السمٰوات والأرض... إلى قوله ...لآيات لقوم يعقلون ﴾ فيقول : فأما معنى الآيات فإنه علامات ودلالات على أن خالق ذلك كله ومنشئه إله واحد (لقوم يعقلون) لمن عقل موضع الحجج وفهم عن الله أدلته على وحدانيته .[42] وفي تفسيره قوله تعالى : ﴿أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ يقول في ذلك: يقول تعالى ذكره هؤلاء الكفار فكيف أيها الناس تتبعون ماوجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم ، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئا ولا هم مصيبون حقا ولا مدركون رشدا وإنما يتبع